توصيف السماوات والأرض في سورة النور

"دراسة في الإعجاز العلمي واللغوي"

المدرس الدكتور
مرتضى عبد النبي علي الشاوي
جامعة البصرة ـ كلية التربية

توصيف السماوات والأرض في سورة النور "دراسة في الإعجاز العلمي واللغوي"

المدرس الدكتور
مرتضى عبد النبي علي الشاوي
جامعة البصرة ـ كلية التربية

المقدمة:

إنّ القرآن الكريم أخذ موضع الصدارة في حياة المسلمين عامة منذ نزل الوحي من السماء يرسم معالم الطريق المستقيم، ويضع أساس التشريع الإسلامي، وينظم سلوك البشرية على الكرة الأرضية، ويسمو بمدارك الإنسان نحو الرقي والتقدم، ويهدي للتي هي أقوم بأحسن حال.

فليس عجيباً أن يلتفت المسلمون حوله، وينهلون من ينابيعه، ويسيرون على هديه، وكان طبيعياً أن يتأملوا أسلوبه وطريقة التعبير فيه، فتأخذهم الدهشة، وتمتلئ قلوبهم بنور العقيدة، وتنبهر أمام بيان نفوسهم وهم أساطين البيان، ومن ثُمّ كثرت البحوث حول القرآن الكريم، وتنوعت وتعددت مناهجها وطرائقها.

ومن هذه البحوث المهمة وأهمها هو البحث القرآني بمعناه الأكاديمي، وبيان معاني القرآن الكريم والمقاصد الإلهية منه.

فكانت إحدى هذه الطرائق هو التفسير العلمي للقرآن الذي أوّد الحديث عنه مشفوعاً بالبحث اللغوي في هذا البحث المتواضع، والإشارة إلى الإعجاز العلمي في تفسير بعض الآيات الكريمة ولاسيما الاستعانة بأنموذج للتطبيق وهو توصيف السماوات والأرض في سورة النور.

إنّ أهمّ موضوع عالجه القرآن عند توظيف السماء والأرض في سياقاته هو

إثبات الخالق سبحانه، فقد لجأ القرآن الكريم إلى الاستدلال بهما؛ لأنّهما أضخم ظواهر الطبيعة الحسية؛ ليعلم أنّ وراءها خالقاً قادراً ورباً حكيماً.

وثمّة فرق بين الوصف والتوصيف، هو أنّ التوصيف المقصود ليس قسيمًا للوصف باعتبار الوصف لغة: ذكر الشيء من حليته ونعته... ويقال: اتصف الشيء في عين الناظر: إذا احتمل الوصف وصف البعير وصوفاً: إذا أجاد السير[١]، وإنّما التوصيف للوصف رديف، وإذا كان الوصف تخطيطًا إجماليًا دالًا دلالة كافية أو قريبة من الكفاية في الدلالة على ملامح الصورة، فإنّ التوصيف تخطيط تفصيلي لتلك الصورة [٢].

ومن ينطلق البحث في توزيع منهجيته كالآتي:

السماء لغة:

إنّ السمو أصل يدلّ على العلو، وسما الشيء يسمو سمواً فهو سامٍ أي ارتفع، وسما إليه بصري، أي ارتفع إليه، وإذا رفع لك شيء فاستبنته قلت: سما لي شيء، والسمو: الارتفاع والعلو، تقول منه: سموت وسميت مثل علوت وعليت وسلوت وسليت، وسما له واسماه أعلاه، ويقال للحسيب والشريف: قد سما وفلان يسمو إلى المعالي إذا تطاول إليها، وسماء كل شيء أعلاه كسقف البيت وظهر الفرس، وتجمع السماء على أسمية وسموات، وسمي[٣]، ومن هذا يتبين أنّ لفظ السماء يدلّ في الأصل على العلو والارتفاع، ثم يتخصص بالسقف والسماء التي هي خلاف الأرض.

التفسير العلمي لخلق السموات والأرض:

أشارت الآراء القديمة إلى خلق السماء والأرض وفقاً للتصور القرآني كون ((القرآن الكريم حافل بآيات الله في الكون وبمشاهد الطبيعة على تنوعها بما يلفت النظر ويثير الحس، فيربى في النفس البشرية، النزوع إلى التأمل

وإدراك مظاهر الجمال في الكون، والجمال من أبرز القيم التي تتسرب إلى دواخل النفوس فتهزها هزاً، فهو يحمل قيمة المتعة النفسية ودلالة الاستجابة معاً))[٤].

وتلك ثلاثة أراء قديمة وحديثة في خلق السموات والأرض [٥]:

١- خلق الله السموات، والأرض شيئاً واحداً ملتزقتين ببعضهما، ففصل بينهما بالهواء بحسب قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء / ٣٠، لأنّ الرتق يعني الالتحام والالتزام.

٢- كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة، ففتقها الله، وجعلها سبع سموات، وكذلك كانت الأرضون مرتتقة طبقة واحدة، ففتقها الله، فجعلها سبعاً، وإنما قال تعالى ﴿كَانَتَا﴾ ولم يقل: كنّ، لأنَّ المراد جماعة السموات، وجماعة الأرضيين.

٣- إنّ السموات كانت رتقاً، لا تمطر، والأرض كانت رتقاً، لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى خلق العالم في تكوينه وإنشائه بحسب قوله ((أنشأ - سبحانه - فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره، متركماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها بردّه، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً أعتقم مهبها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحاء، فمخضه مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوله إلى آخره، وساجية إلى ماثره، حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه،

فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق، فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثمّ زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم ماثر))[٦].

((وقد أثبت العلم الحديث أنّ الأرض والمجموعة الشمسية والنجوم كانت كتلة واحدة، ثم تجزأت، وفي عام ١٩٦٧م، التقطت سفينة الفضاء الأمريكية (فايكن) صورة لنجم يولد ويتكون وانّ أصله دخان))[٧]، ولا بُدّ من الإشارة إلى بعض الظواهر الطبيعية في توصيفها العلمي مستنيراً بالبحث اللغوي بأبعاده المختلفة.

التوصيف العلمي للظواهر الجوية:

ومنها الإعجاز العلمي في ضوء الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور/٤٣، وتشابهها في التصوير في رسم تلك الظاهرة الكونية الجوية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الروم/٤٨.

فتلك الظواهر الجوية المتعلقة بالسماء كون ((أنّ الحقائق التي ذكرتها آيات القرآن الكريم عامة وما يتعلق منه بتأثير الرياح في إنشاء السحب وتلقيحها وتشكيلها، ثم نزول المطر أو البرد منها، هذه الحقائق من أعجب الأمور وأدقها التي توصل إليها العلم الحديث، فلو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الحقائق لكانت كافية في تعريفنا بأنّ منزل القرآن هو خالق السماوات

والأرض ومصرّف الرياح ومنزل الماء من السماء تحيى به الأرض بعد موتها))[٨] ومن هذه الظواهر:

الرياح وتكوين السحب:

تحدث الباحثون العلماء عن الرياح وتكوين السحب في ضوء النص القرآني كما في جاء في دراساتهم إذ ((توصل العلم الحديث إلى أنّ نمو السحب ونزول المطر يتطلب أن تلقح الرياح هذه السحب بأكداس من جسيمات مجهرية تسمى (نويات التكاثف)، ومن أهمّ خواص هذه النويات أنّها تمتص الماء أو تذوب فيه، وتحمل الرياح كذلك بخار الماء وتلقح به السحاب؛ لكي تمطر، وتتم العملية بتجمع جزئيات الماء المنفصلة والموجودة في الهواء حول نويات التكاثف حيث إنّ أصغر نقط الماء تحتوي على ما لا يقل عن (١٠٠) جزيء، وليس من السهل أن يتجمع مثل هذا العدد مع بعضه لمجرد الصدفة ما لم توجد نويات تترسب عليها الجزيئات وتحتفظ بها، وعلى هذا النحو عرف الناس أنّ الآية الكريمة إنّما تشير إلى تلقيح الرياح للسحب ببخار الماء، ثم بنويات التكاثف كخطوة أساسية لكي تجود بالمطر))[٩].

وقد أشار العلم الحديث إلى هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الروم/ ٤٨، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ الحجر/ ٢٢، إذ يرى أنّ ((الأصل في تكوين السحب على اختلاف أنواعها وأشكالها إنّما هي الرياح، فالسحب الطبقية وهي التي تنمو في اتجاه أفقي يكون الهواء الذي يحملها صاعداً إلى أعلى ببطء، أما السحب الركامية الرأسية تكون الرياح التي تحملها صاعداً إلى أعلى بسرعة ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

الروم/٤٨، وحقيقة أخرى أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ الحجر/٢٢، حملها كثير من المفسرين على أنّ الرياح اللواقح تلقح النباتات فتحمل الطلع من الذكر إلى الأنثى فتلقح بويضاتها، والحقيقة أنّ هذا الأمر مما يتحقق بواسطة الرياح، إلا أنّ سياق الآية في هذا المقام لا تحمل ذلك، بل يشير إلى حقيقة آخري أدق وهي "تلقيح السحب"))[١٠].

دلالة الودق في التفسير العلمي:

إنّ الودق رديف المطر إلا أنّ الودق يراد به المطر إثر تراكمه وتكاثفه[١١]، والعلم الحديث يفسر لنا ((أنّ المطر يتوقف على تكون السحب الماطرة (المزن)، ومن هذه المزن ما يسمى (المزن الركامي)، وهي سحب تنمو في الاتجاه الرأسي، وقد تمتد إلى علو عشرين كيلو متراً، وداخل السحب الركامية ثلاث طبقات، وهي الطبقة السفلى وقوامها نقط نامية من الماء، ثم الطبقة الوسطى وتكون درجة حرارة نقط الماء فيها تحت الصفر المئوي، ومع ذلك فهي باقية في حالة السيولة، أما الطبقة العليا فتتكون من بلورات الثلج ذات اللون الأبيض الناصع وجعل الله سبحانه وتعالى نقط الماء فوق المبردة غير مستقرة قابلة للتجمد بمجرد ارتطامها بجسم صلب، لذا فبمجرد أن تتساقط بلورات الثلج من الطبقة العليا إلى الطبقة الوسطى، وتلتقي بنقط الماء فوق المبردة، تلتصق البلورات بنقط الماء، وتتجمد، فينمو حجمها سريعاً، وينشط عليها التكاثف، فتتساقط على هيئة برد: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ النور/٤٣، وأثناء سقوط هذا البرد يلتقي بنقط الماء النامية فيجتمع معها، ويزداد حجم النقط كثيراً، ولا يقوى الهواء على حملها، فتتساقط على هيئة مطر، ويذوب أغلب البرد قبل وصوله إلى سطح الأرض.

ولنمو البرد وذوبانه أهمية عظيمة في عمليات شحن السحابة بالكهربائية التي تسبب البرق والرعد، فالبرد عندما ينمو فوق (٢) ملمتر يشحن بالكهربائية، وعندما يذوب يشحن أيضاً بشحنة مضادة، وفي كلتا الحالتين يحمل الهواء الصاعد شحنة كهربائية مضادة عظمى، والآية الكريمة ذكرت كلمة (ركاماً) وأعقبتها با لـ(برد)، وقد أثبت العلم أنّ هذا النوع (السحب الركامية) هي الوحيدة التي تعطي البرد، وفي التعبير بقوله: (ثم يؤلّف بينه) سر من الأسرار الدقيقة الرائعة التي تعتبر الآن من أمهات الحقائق الجوية، إذ فيها الدلالة على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها تلك الظواهر الجوية كلها، فإنّ التأليف بين السحاب وصف دقيق للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية حتى يتجاذب وتعبأ في الجو تعبئة الجيوش، وهو يتفق مع ما يريد الله أن يخلقه من بين السحاب من برق وصواعق، ومطر أو برد.

وتشبيه الآية الكريمة هذه السحب بالجبال لا يدركه إلا من ركب الطائرة وعلت به فوق السحب أو بينها، فإنّه سيدهش لدقة الوصف فإنّه يجد مشهد الجبال حقاً بضخامتها ومساقطها وارتفاعاتها وانخفاضاتها.

وأشارت الآية الكريمة إلى عظم القوى الكهربائية المشتركة في تكوين البرد بالنص على عظم برقه وشدته وبلوغه من الحرارة درجة الابيضاض، الذي يخطف بالأبصار ويصيبها بالعمى المؤقت، وأكثر من يعاني من هذه الظاهرة هم الطيارون: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[١٢] ((أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما، وإضافة البرق إليه قبل الأخبار بوجوده فيه للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به))[١٣]، فالعلم الحديث يرى أنّ ((السحاب المتراكم المتصادم والمتدافع مشحون كهربائياً، وحين تلتقي الثنائية، السالب والموجب، ينشأ هذا الوميض الخاطف، البرق، فيبتدي سلوكاً ضوئية منفرجة تكاد من قوتها أن تخطف

أبصار الناظرين... ويليه هذه الدوري الهائل الذي هو الرعد... صوت هائل يصطك المسامع وينبىء عن تلاقح كهربي))[١٤].

التوصيف الأدبي:

تناسق المفردات في الدلالة السياقية:

١- جاء التعبير القرآني بالفعل (يزجي) في حالة المضارع، ولم يأت بفعل مرادف مثل يسوق أو يسير أو غير ذلك لأسباب دلالية و سياقية منها أنّ ((التزجية: دفع الشيء لينساق، كتزجية رديء البعير، وتزجية الريح السحاب، قال ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾ النور/٤٣ وقال: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ الإسراء/٦٦[١٥]، ويراد بالإزجاء ((هو سوق الشيء برفق وسهولة في سوق شيء يسير أو غير معتد، ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يتعدّ به))[١٦].

٢- جاء التعبير القرآني بمفردة (السحاب) ولم يأت بـ(الغيمة) أو الغيوم، لأنّ (أصل السّحْب: الجرّ كسحب الذيل، والإنسان على الوجه، ومنه السحاب؛ إمّا لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في مره، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ القمر/٤٨، وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ غافر/٧١-٧٢، وقيل: فلان يتسحّب على فلان، كقولك: ينجرّ، وذلك إذا تجرأ عليه، والسحاب: الغيم فيها ماء أو لم يكن، ولهذا قيل: سحاب جهام، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ النور/٤٣، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ الأعراف/٥٧، وقال: ﴿وَيُنْشِئُ

السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرعد/١٢، وقد يذكر لفظه ويراد به الظل والظلمة، على طريق التشبيه، قال تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ النور/٤٠))[١٧] إذاً دلالة السحب جاءت من المعنى اللغوي كما ذكر في كتاب العين ((السحب: جرك الشيء، كسحب المرأة ذيلها، وكسحب الريح التراب، وسمّي السحب؛ لانسحاب في الهواء))[١٨].

٣- وصف السحاب بالركام مثل ركام الرمل والجيش من باب الكثرة والارتفاع كما جاء في القرآن الكريم في موضع آخر في قوله تعالى ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ الطور/٤٤، أي متراكم، والركام: ما يلقى بعضه على بعض[١٩]، وهكذا ورد ت دلالته اللغوية ((الركم: جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحوه من الشيء المرتكم بعضه على بعض، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ الأنفال/٣٧، و﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ النور/٤٣))[٢٠].

٤- ذكر الودق بدلاً عن المطر؛ لغرض التناسق الدلالي؛ لأنّ الودق ((ما يكون من خلال المطر كأنّه غبار، وقد يعبّر به عن المطر، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ النور/٤٣))[٢١]، وهو ((المطر كلّه، شديده وهينه، وحرب ذات ودقين أي شديدة تشبّه بسحابة ذا مطرتين شديدتين، وسحابة وادقة))[٢٢].

٥- استعمال القرآن الكريم الفعل (نزّل) الذي يفيد التكثير والمبالغة؛ لأنّ ((من مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول وانه يفيد تلبثاً أو مكثاً))[٢٣].

٦- ذكر (البرد) إشارة ((ما يبرد في الهواء فيصلب، وبرد السحاب: اختصّ بالبرد، وسحاب أبرد وبرد: ذو برد، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ النور/٤٣))[٢٤]، و((البرد: مطر كالجمد وسحب: ذو قرّ وبرد وقد بُرِد القوم إذا أصابهم البرد، وأما قول الله - جلّ وعزّ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾، ففيه قولان أحدهما: وينزل من السماء من جبال فيها برد ومن صلة))[٢٥].

٧- دقة الوصف في تشبيه السحاب بالجبال من باب الكثافة والحجم وكبر المسافة وشدة الهول عند الرؤية ودليل عظمتها وهو يشابه مشهد الجبال من حيث الضخامة والارتفاع والانخفاض ولم يستعمل أداة للتشبيه كون الخطاب في توصيف سردي قائم على نقل الأحداث في مشهد واقعي ليس خيالياً تتابعت أزمانه بين (تزجية السحب) و(التأليف بين السحاب) و(صيرورة السحاب إلى ركام) و(خروج الودق من خلاله) و(إنزال البرد) كلّه جاء في فترات زمنية متباينة فيها نوع من التراخي باستعمال (ثمّ) وفيها من التعاقب بدون فترة زمنية باستعمال (الفاء) والجمع بينهما باستعمال (الواو) دليلاً على قوة التماسك النصي في السياق القرآني.

٨- الحدث المتنامي الذي جاء في سرد فني، في البدء سحاب متفرق، يأتلف، يتراكم، يتدفق المطر، لكن التدفق محسوب، أي بقدر، فيصيب قومًا ولا يُصيب آخرين، ويختم الخطاب السردي بوصفٍ دقيق لما يصحب الحدث المتنامي، وهو البرق، وكيف تخشاه النفوس، وكيف يكاد يذهب بالأبصار، فالآية القرآنية اشتملت على حدثٍ، وتمّ سرده بالجمل الفعلية حتى يحافظ على حركيته مع سرعة حدوثه. فما أجمل الأداء التصويري في معالم الكون والطبيعة بأبهى اللوحات الفنية[٢٦]:

الأولى: إرسال الرياح مسيّرة بالقدرة محملة برسالة كانسان عاقل في منظومة الكون الواحدة.

الثانية: إثارة السحاب وتحركه من ثبات، وتسوقه في اتجاهات محسوبة، وتبسطه في الجو خفيفاً أو كثيفاً، وهذه الحركة مصحوبة بتنوعات في الشكل واللون والحيز.

الثالثة: التدافع والتصادم يؤدي إلى خروج الماء وسقوط المطر من خلال السحاب الذي يبدو ضخماً جليلاً كالجبال الراسيات وفي تكاثف وتواصل يصحبه اشتداد في البرودة تتشكل قطرات المياه على شكل البرد الأبيض، يعطي اللون الأبيض صفاء ونقاء وجمالا آسراً.

الرابعة: فيها ترسيمة الومضات الضوئية في سياق نوراني متدفق.

٩- وقد أثرى الخطاب القرآني بالمفردات ذات الايحاء بالمعاني المتدفقة في درجة عالية من التفرد الأسلوبي في استعمال مثلاً ((الإزجاء هو الدفع، والركام المتراكم بعضه على بعض، والودق هو المطر، والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين... والسماء جهة العلو... والبرد قطعات الجمد النازل من السماء))[٢٧].

١٠- استعمال التصوير الكنائي في تركيب ((من جبال فيها بيان للسماء، والجبال جمع جبل وهو معروف وقوله: (من برد) بيان للجبال، والبرد قطعات الجمد النازل من السماء، وكونه جبالاً فيها كناية عن كثرته وتراكمه))[٢٨]، والتصوير الكنائي التي يرمز فيه إلى عظمة السحب بارتفاعه وكثرته مشابهة بالجبال.

السماء في حالة الجمع والإفراد

وردت مفردة السماوات في حالة جمع المؤنث السالم في أربعة مواضع

في القرآن الكريم، وكما جاءت السموات بلفظ الجمع، جاءت بلفظ المفرد، هكذا السماء، ولم تجيء الأرض إلا بلفظ المفرد هكذا: الأرض. وقد جاء في تعليلها (أرضين) لهذه الجسأة التي تدخل اللفظ ويختلّ بها النظم إخلالاً[٢٩].

وقد ذكر السيوطي (ت٩١١هـ) الفرق قي الاستعمال في مجيء السماء جمعاً والأرض مفردة بحسبي قوله: ((حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فأنها مفردة، ولم تجمع، بخلاف السموات، لثقل جمعها وهو أرضون، ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال: (ومن الأرض مثلهن) الطلاق/١٢، وأمّا السماء تارة بصيغة الجمع، وتارة بصيغة الإفراد، لنكت تلقي بذلك المحل... والحاصل أنه حيث أريد العدد أتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة))[٣٠].

وأول من التفت إلى هذا هو الجاحظ لكنّه لم يعلل لذلك إذ قال ((إذا ذكر سبع سموات ولم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين))[٣١].

فما سرّ هذا؟، والسؤال الوارد هنا: هل جمع السموات وإفراد الأرض، يقضى بأن تكون السموات أكبر جرماً وأعظم قدراً من الأرض؟، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((ما من شيء إلا وله كيل أو وزن إلا الدموع))[٣٢] فكما للأشياء الصغيرة وزن كذلك للأشياء الكبيرة وزن، وقد أشار إلى ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام بحسب قوله في إحدى مناجاته: ((سبحانك تعلم وزن السموات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، وسبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي مثقال ذرة))[٣٣].

وهناك عدة احتمالات لمفردة الوزن ففي شرحها ((يجوز أن يراد من الوزن هنا العلم بمقاديرها، وما يملأ به من الخلاء كما يسمون ما يعلم بحركة الشمس اصطرلاباً، وهو ميزان الشمس، ويجوز أن يراد منه وزنهما حقيقة بما

يضاف إليهما من الأجسام والذرات المشاهدة بأشعة الشمس في الكوة ونحوها، ويجوز أن يكون لهما في أنفسهما وزن؛ لأنّ الأجسام اللطيفة لا يبعد أن يكون لها ضرب من الجسمية المعروفة به))[٣٤].

ومن هذا نرى أنّ التعبير القرآني جاء عن السموات بلفظ الجمع يريد دائماً حيث يراد المقابلة بينها وبين الأرض، لا من حيث الوضع علواً وسفلاً، وإنّما من حيث البناء التركيبي لكلّ منهما، وأنّ السموات عوالم متعددة، والأرض بالنسبة لها أشبه بالمفرد بالنسبة لجمعه، وأنّهما إن اختلفتا اسما، فقد اتفقتا صفة، بأنّهما آيتان من آيات اللّه الدالة على علمه، وقدرته، وحكمته.

فالسماء أكبر جرماً من الأرض، وأوسع مدى، وأكثر محتوى للعجائب والغرائب.

فإذا وزنت بالأرض من تلك الجهة، فهي جمع والأرض مفرد، هي سماوات والأرض أرض أو سماء، فالسموات بصيغة الجمع صالحة؛ لأنّ يدخل فيها من أعداد السماء ما لا حصر له، بلا قيود ولا حدود آية واحدة، جاءت في القرآن الكريم فجمعت بين السموات والأرض بما يشعر بالمساواة بينهما، وهى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الطلاق/١٢، فالمثليّة هنا قد حملها المفسرون على المثلية في العدد حتى ((قيل ما في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع إلا هذه))[٣٥]، وأنّه كما أن هناك سبع سموات، فهناك سبع أرضين، وقد أكثروا من القول في هذه الأرضين، وفى اسم كلّ أرض، كما قالوا ذلك في السموات السبع، واسم كلّ سماء.

وتحديد السموات بأنّها سبع، يعنى أنّها سبعة أكوان، ولا يدرى كنه هذا الكون، ولا العوالم التي يحتويها إلا اللّه سبحانه وتعالى، وأمّا ما بلغه علمنا من أكوان السموات، فلا يعدو أن يكون أفقا محدوداً من آفاق هذه الأكوان، أو موجة على صدر محيطه الغمر الرحيب.

شمولية النور:

١ـ المعنى المعرفي

إنّ النور في كلام العرب: يعني الأضواء المدركة بالباصرة، أو هو كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها تدرك سائر المبصرات [٣٦]((فإسناده إلى الله تعالى مجاز كما تقول: زيد كرم وجود وإسناده على اعتبارين: إما على أنّه بمعنى اسم فاعل أي منور السموات والأرض، ويؤيد هذا التأويل قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت بن أبي حفصة والقرصي ومسلمة بن عبد الملك وابي عبد الرحمن السمي وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة (نور) فعلاً ماضياً (والأرض) بالنصب، وإما على حذف أي ذو نور، ويؤيده قوله (مثل نوره) ويحتمل أ يجعله نوراً على سبيل المدح كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبائل وقمرها))[٣٧]، والنور بشكل عام ((هو مطلق الخير الذي أفاضه الله على الوجود وعندما يطالبنا الله أن نزكي نفوسنا فإنّ ذلك يعني أن نتعامل مع النور))[٣٨]، وإنّ اكتساب السماوات والأرض نورها من ((مصدر النور الأزلي وهو الله سبحانه وتعالى، وهو حالة كون المراد من النور في آية النور "مثل نوره"))[٣٩] كما ورد في الخطاب القرآني في آية النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/٣٥.

لقد عبر القرآن عن الكمال والقيم الرفيعة بالنور، والمراد من النور الهداية، والنور هو التوفيق الذي يتلقاه الإنسان في المسير نحو الإيمان، وهو الإسلام حيث الإسلام معرفة النور، والنور هو العلم حيث يعني استضاءة

القلب...، وأمّا مفردة النور، فلأنّها تشتمل على جميع الصفات العليا والأسماء الحسنى وهي عين ذاته تبارك وتعالى وصفاته عزّ وجلّ هي عين ذاته... فهو النور الذي يملأ أنحاء الوجود[٤٠].

وهو في هذا المعنى يتجلى ثلاثة أوجه[٤١]:

١- الله هادي أهل السموات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم

٢- الله منوّر السموات والأرض بالشمس والقمر والنجوم

٣- الله مزيّن السموات بالملائكة، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء

فكل مخلوق يرتبط بالله بمقدار معين يكتسب من النور بنفس ذلك المقدار فالله نور السموات والأرض وهذه من خصائص النور الأهلي:

القرآن نور لأنّه كلم الله، والدين الإسلامي نور لأنه دينه والأئمة المعصومون أنوار إلهية، لأنّهم حفظة دينه بعد النبي ﷺ، والإيمان نور لأنه رمز الالتحام به سبحانه وتعالى، والعلم نور، لأنه السبيل إلى معرفته عز وجل، وبهذا تأخذ أنوار الوجود نورها من نوره وتنتهي بنوره الطاهر[٤٢]، وقد جاء وصف الله عزّ وجلّ بالنور كما ورد في الأدعية المشهورة كما في دعاء الجوشن الكبير الذي يحتوي على صفات الله تعالى ((يا نور النور، يا منوّر النور، يا خالق النور، يا مدبّر النور، يا مقدّر نور، يا نور كلّ نور، يا نوراً قبل كلّ نور، يا نوراً بعد كلّ نور، يا نوراً فوق كلّ نور، يا نوراً ليس كمثله نور))[٤٣].

٢ـ المعنى المادي:

كلما دققنا في عالم النور الذي يشكل ظاهرة فريدة، يتضح لنا أثره البالغ الأهمية وبركاته العظيمة، وقد أشار بعض المفسرين إلى خصائص النور وميزاته بما يلي[٤٤]:

١- النور جميل ولطيف في العالم وهو مصدر لكل جمال ولطف.

٢- النور سريع وهو أسرع الأشياء تبلغ سرعته ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية ودورنه حول الأرض سبع مرات في طرفة عين أي اقل من ثانية واحدة.

٣- يمكن مشاهدة الأشياء بالنور فهو ظاهر بنفسه ومظهر لغيره.

٤- ضوء الشمس من أهمّ الأنوار فهو ينمي الطبيعة وبه تستمر الحياة وهو رمز بقاء المخلوقات الحية.

٥- إنّ جميع الألوان يمكن مشاهدتها بنور الشمس.

٦- إنّ جميع أنواع الطاقة مصدرها الشمس باستثناء الطاقة النووية ومصدر الحرارة وتدفئة الأحياء كلها هو الشمس.

٧- نور الشمس قاتل الميكروبات والمخلوقات المضرة.

٨- نور الشمس وحرارته عامل مطهر لكلّ النجاسات والمخلفات والفضلات المتعفنة.

٣ـ المعنى الإجمالي

نور: أي ذو نور أي هو هاد أهل السموات والأرض، فهم بنوره يهتدون وبهداه من خيرة الضلالة ينجون[٤٥]، ويعنى بنوره يهتدي من في السموات والأرض[٤٦].

بعد أن ذكر سبحانه أنّه أنزل في هذه السورة آيات مبينات لكل ما يحتاج إليه الناس في صلاح أحوالهم في معاشهم ومعادهم من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق - بين أنّه نور السموات والأرض بما بث فيهما من الآيات الكونية والآيات التي أنزلها على رسله دالة على وجوده ووحدانيته وسائر

صفاته من قدرة وعلم إلى نحو أولئك، هادية إلى صلاح أمورهم في الدنيا والآخرة.

ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الله هاد أهل السموات والأرض بما نصب من الأدلة في الأكوان، وبما أنزل على رسله من الآيات البينات، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلال ينجون، ((ولعل استخدام مفردة النور للهداية في المعارف الإلهية وفي الأدعية الكريمة فلعلها تعني: يا الهي أسألك بهداك يا دليل الكائنات، وعلى كل حال أن كلمة نور تحمل جميع المعاني السماوية والمفاهيم الملكوتية التي تشرق على القلب فتضيء دنياه وينكشف له الطريق))[٤٧].

٤ـ المعنى البلاغي

إن ما أضيف من ألفاظ إلى السماء والأرض زاد من دلالة معانيهما وأكسبتهما ثراء بمجاورتها لهما ضمن السياق الذي وردت فيه.

وقد أشار المفسرون إلى ذلك فقد جاء في تفسير الكشاف معنى إضافة النور إلى السموات والأرض بحسب قول الزمخشري (ت٥٢٨هـ)((أضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة))[٤٨]، ويرى آخرون منهم أبو سعود (ت٩٨٢هـ): ((قد أضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الأمور التي لها مدخل في إرشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام العلوية والسفلية))[٤٩] ((ويجوز أن يراد بالسماوات والأرض من فيهما من باب:

(وأسأل القرية) يوسف/٨٢، وهو أبلغ من ذكر المضاف المحذوف؛ لأنّ في هذا الحذف إيهام أن السماوات والأرض قابلة لهذا النور كما أن نفسها تشهد بما يسأل منها، وذلك أبلغ في الدلالة على الإحاطة بالمقصود وألطف دلالة، فيشمل تلقين العقيدة الحق والهداية إلى الصلاح، فأما هداي البشر إلى الخير والصلاح فظاهرة، وأما هداية الملائكة إلى ذلك فبأنّ خلقهم الله على فطرة الصلاح والخير، وبأنّ أمرهم بتسخير القوى للخير، وبأن أمر بعضهم بإبلاغ الهدى بتبليغ الشرائع والهام القلوب إلى الصلاح، وكانت تلك مظاهر هدى لهم وبهم))[٥٠] ((ونظير قوله: الله نور السموات والأرض مع قوله: مثل نوره و(يهدي الله نوره) قولك: زيد كرم وجود، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده. والمعنى: ذو نور السموات. وصاحب نور السموات، ونور السماوات والأرض الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة/٢٥٧: أي من الباطل إلى الحق))[٥١].

التسبيح الشمولي:

أشار الدكتور محمود البستاني إلى هذا التسبيح بقوله: ((لقد طرح المقطع نمطين من الموضوعات:

أحدهما يتصل بالممارسة العبادية للكون، والآخر يتصل بالظواهر الإبداعية للكون... الممارسة العبادية للكون تمثلها الآية الآتية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور/٤١.

إنّ ظاهرة تسبيح الكون ترتبط عضوياً بآية النور التي تقول عن المؤمنين وعملهم في بيوت الله (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة)

لنلاحظ أنّ هذه الآية تقرر بأنّ المؤمنين يواظبون على التسبيح لله لنلاحظ أن المقطع يجاوز النطاق البشري ليقرر بأن الكون كله يسبح (ألم تر أن الله يسبّح له من في السماوات والأرض).

إذاً، الربط بين التسبيح الخاص للآدميين والتسبيح العام لمطلق الكون تمّ بهذا النمط الفني الذي يصل بين ما هو عام وما هو خاص... إلا أنه يلاحظ أنّ المقطع خصّ نمطاً كونياً بالذكر بع أن عمّم عملية التسبيح للكون كله، هذا النمط هو الطير والطير صافات.

فنياً لا بدّ أن نستكشف من هذا التخصيص للطير أنّ هذه العضوية تتميز بخصوصية في التسبيح تفترق عن تسبيح الحيتان في البحار مثلاً، أو الأشجار أو مطلق المخلوقات الأخرى... مضافاً إلى أن حركاتها وأصولها التي تظل موضع ألفة لنا نحن البشر بحيث تصبح معبّرة أكثر من سواها عن دلالة التسبيح المشار إليه))[٥٢]، وهو عند المفسرين كذلك يقف ((تسبيح العقلاء حقيقة، وتسبيح الطير مجاز مرسل في الدلالة على التنزيه، وفيه استعمال لفظ التسبيح في حقيقته ومجازه، ولذلك خولف بينهما في الجملة الثانية فعبر بالصلاة والتسبيح مراعاة لاختلاف حال الفريقين: فريق العقلاء، وفريق الطير وان جمعتها (كل) فأطلق على تسبيح العقلاء اسم الصلاة لأنه تسبيح حقيقي، فالمراد بالصلاة الدعاء هو من خصائص العقلاء، وليس في أحوال الطير ما يستقيم أطلاق الدعاء عليه على وجه المجاز وأبقى لدلالة أصوات الطير اسم التسبيح لأنه يطلق مجازاً على الدلالة بالصوت بعلاقة الإطلاق وذلك على التوزيع، ولولا إرادة ذلك لقيل: كل قد علم تسبيحه أو كل قد علم صلاته))[٥٣].

وأحياناً تكون الرؤية من زاوية دلالة (من) العمومية بحسب الآراء منها ((قيل (من) عام لكل موجود غلب من يعقل على ما لا يعقل، فأدرج ما

يعقل فيه ويكون المراد بالتسبيح دلالته بهذه الأشياء على كونه تعالى منزهاً عن النقائض موصوفاً بنعوت الكمال. وقيل: المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذي الدين بالنطق والصلاة ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة، فيكون ذلك قدراً مشتركاً بينهما وهو التعظيم))[٥٤].

المُلْكية العامة:

إنّ الظواهر الإبداعية لهذا الملك جسدت الآيات البينات مثل السحاب والرعد والبرق[٥٥].

والملكية تتضمن معان منها:

١ـ اختصاص الربوبية

ومنها إخبار بانّ جميع المخلوقات تحت ملكه يتصرف فيهم بما يشاء تصرف القاهر الغالب[٥٦] كما في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور/٤٢، لإثبات اختصاص الربوبية به تعالى فـ((اللام للاختصاص - يفيد أنّ السماوات والأرض مملوكة له غير مستقلة بنفسها في جهة من جهاتها ولا مستغنية عن التصرف فيها بالحكم وأن الحكم فيها وإدارة رحاها يختص به تعالى فهو المليك المتصرف بالحكم فيها على الإطلاق))[٥٧]، ولهذا جاءت مفردة (مَلك) بضم الميم ويراد بها: ((ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، والملك - بالكسر - كالجنس للملك فكل ملك - بالضم - ملك بالكسر - وليس كل ملك - بالكسر - ملكاً - بالضم))[٥٨] ((إنّ جميع الموجودات في السماوات والأرض من أفلاك وكواكب في السماوات، وما على الأرض من جبال وأنهار وبحار، فكل ذلك ملك لله تعالى، وفي تصرفه، وعنه نشأ، ومنه بدأ لا يشركه فيه أحد، وما يملكه العبد في هذه الدنيا، فإنما هو ملك له في الظاهر، قد منحه الله له، ليتمتع على سبيل الوكالة والأمانة)) [٥٩].

٢ـ اختصاص الملكيّة

إنّ قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/٦٤، هو ((بيان لعموم الملك وأنّ كل شيء مملوك لله سبحانه قائم به فهي معلومة له بجميع خصوصيات وجودها فيعلم ما تحتاج إليه، والناس من جملة ما يعلم بحقيقة حاله وما يحتاج إليه فالذي يشرعه لهم من الذين مما يحتاجون إليه في حياتهم كما أن ما يرزقهم من المعيشة مما يحتاجون إليه في بقائهم))[٦٠]، ((وتقديم المعمولين للاختصاص، أي أنّ التصرف في العوالم لله لا لغيره. وفي هذا انتقال إلى دلالة أحوال الموجودات على تفرد الله تعالى بالخلق))[٦١]، فله التصرف في جميع ذلك ولا يجوز الاعتراض عليه ولا مخالفة أمره فليس للعبد أن يخالف أمر مالكه[٦٢].

دلالة السماء على السحاب:

وردت لفظة السماء في سورة النور بمعنى السحاب في سباق صيغة المضارع (ينزل) مرة واحدة مما شكل فرادة في الاستعمال كما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور/٤٣.

فالسماء هنا بمعنى السحاب في سياق الجملة الخبرية فعلها مضارع (ينزّل) وقد استعمل التعبير القرآني الفعل (ينزّل) بصيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار والتجدد، وقد جاءت لفظتا (جبال وبرد) نكرتين في سياق السماء بمعنى السحاب، وفي ذلك دلالة واضحة على سعة هذا الماء وكثرته وغزارته، حيث أنّ النكرة تفيد الإطلاق بلا تعيين ولا تقييد[٦٣].

وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره... أنّه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه، وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته، ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم، ليعتبروا ويحذروا، ويعاقب بين الليل والنهار، ويخالف بينهما بالطول والقصر. وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته، ودلائل مناديه على صفاته.... فإن قلت: ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله (من السماء من جبال)، (من برد) قلت: الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض. والثالثة للبيان. أو الأوليان للابتداء: والآخرة للتبعيض. ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأول مفعول (ينزل): من جبال، فان قلت: ما معنى (من جبال من برد)؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالاً من ذهب))[٦٤]، فضلان عن دلالة المفردات في حقلها اللغوي ((فالسماء جهة العلو، وقوله (من جبال فيها) بيان للسماء، وقوله (من برد) بيان للجبال، والبرد قطعات الجمد النازل من السماء، وكونه جبالاً فيها كناية عن كثرته وتراكمه، والسماء بالقصر الضوء))[٦٥].

ويتضمن قوله تعالى ((وينزل من السماء من جبال فيها من برد)، وفيه معنيان: أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبالاً من برد، كما خلق في الأرض جبالاً من حجر، والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال فلان يملك جبالاً من ذهب))[٦٦].

الأرض لغة:

جاء في لسان العرب أنّ الأَرْض التي عليها الناس أُنثى وهي اسم جنس وكان حق الواحدة منها أَن يقال أَرْضة ولكنهم لم يقولوا وفي التنزيل وإِلى

الأَرْض كيف سُطِحَت... ويقال أَرْضٌ وأَرَضُون وأَرَضات وأَرْضُون...[٦٧].

وأنّ الواو في (أرضون) عوض عن الهاء المحذوفة المقدرة وفتحوا (الراء) في الجمع؛ ليدخل الكلمة ضرب من التكسير استيحاشا أن يوفروا لفظ التصحيح؛ ليعلموا أن (أرضاً) مما كان سبيله لو جمع بالتاء أن تفتح راؤه فيقال: أرضات[٦٨].

وقد جمعت الأرض على أراض، وأروض، وأراضين [٦٩]، وفي القرآن لم ترد (الأرض) مجموعة أبداً،وجاءت في الأدعية المروية عن الأئمة عليهم السلام كما في تسبيح الإمام علي بن الحسين عليه السلام في قوله: ((سبحانك تعلم وزن السموات، سبحانك تعلم وزن الأرضيين))[٧٠].

إثراء الخطاب القرآني بالظواهر الطبيعية المرتبطة بالأرض:

فالمشبه به نجده مستمداً من عناصر الطبيعة مثل السراب و ظلمات البحر والجو[٧١] ويتعدد المعنى البياني:

أولاً: ظاهرة تكوين السراب لتشبيه أعمال الكفار به كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ النور/٣٨، وقد استعملها مشبها به لأعمال الكفر وهو تصوير قائم على تشبيه المعقول بالمحسوس ((حيث أعمال البر والخير من الكافرين وظنهم أنها نافعة لهم ومنجية من عقاب الآخرة، فتحبط أعمالهم وتخيب ظنونهم، وتنقشع آمالهم بسراب يراه الظمآن في الفلاة، وهو في شدة الحاجة اليه فيحسبه ماء فيعدو نحوه فلا يجد شيئاً، فتتحطم آماله وتشتد حسراته، فاعمال الكافر كهذا السراب يظن أنه الماء وليس به))[٧٢].

ثانياً: ظلمات البحر: كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور/٤٠، إذ ((شبّه مرة أخرى سوء أعمالهم وحقد قلوبهم بهذه الظلمات في البحر الزاخر العميق تغطيه الظلمات، ظلمة السحاب، وظلمة الأمواج، وظلمة البحر، فقلوبهم وأعمالهم بمنزلة هذه الظلمة الكثيفة، لا ينفذ منها شعاع من رحمة الله، ومن لم يرد الله أن يهديه لنوره، فماله من نور))[٧٣].

فالتأمل في هذه التشبيهات يتضح كالآتي[٧٤]:

١- هناك تقابل بين تشبيهي بين أعمال الكفار من حيث العناصر المكونة للصورة في كل منهما فالأول سراب في صحراء ممتدة والثاني ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب عناصر التشبيه الأول مستمدة من البر والبر خراب ليس فيه إلا الصحراء وأهوالها والكافر يلهث وراء الوهم ويركض وراء السراب في هذا الخراب وفي التشبيه الثاني مستمدة من البحر والسحاب حيث أطبقت ظلماتهما وغاب نفعهما فلا وجود له في وسط هذا الظلام.

٢- هناك تقابل بين التشبيه الأول والتشبيه الثالث فعناصر التشبيه الأول تضاعف النور وشدة الضياء وعناصر التشبيه الثالث تراكم الظلمات وشدة الظلم في الأول نور على نور يقابله في الثالث ظلمات بعضها فوق بعض في الأول تحتشد عناصر النور في وهجه وشدة ضيائه وفي الثالث تتداخل الظلمات وتتكاثف ففي الأول مستمر لا ينقطع والثالث الظلام مستمر أيضاً على الرغم من التقابل في عنصر المبالغة في التوصيف في استعمال الفعل (كاد).

دلالة الأرض على معنى العموم الأرض بمعنى الدنيا في موضعين:

الأول: في دلالة الاستخلاف في الأرض.

وقد جاءت هنا تشير إلى الوجه المقابل للسماء، أي الأرض ذاتها[٧٥] وبهذا المعنى لما له من خصوصية الاستخلاف والفرادة في الأرض وهو ((واضح - من الزاوية الفنية - أن المقطع ما دام قد تحدثّ عن المنافقين قبل هذا الختام وهم يعنون أساساً بالبعد النفعي الدنيوي الصرف، حينئذ فان الوعد بعملية استخلاف في الأرض بالنسبة الى المؤمنين يأخذ مسوّغه الفني حتى يتداعى ذهن المتلقي إلى أن المؤمن مبشر بالعطاء الدنيوي قبل الأخروي)) [٧٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور/ ٥٥.

وهناك أراء مختلفة في معنى الاستخلاف في الأرض إلا أنّ ((المراد باستخلافهم في الأرض كما استخلف (الذين من قبلهم) عقد مجتمع مؤمن صالح منهم يرثون الأرض كما ورثوا الذين من قبلهم من الأمم الماضين أولي القوة والشوكة، وهذا الاستخلاف قائم بمجتمعهم الصالح من دون أن يختص به أشخاص منهم كما كان كذلك في الذين من قبلهم، وأما إرادة الخلافة الإلهية بمعنى الولاية على المجتمع كما كان لداود وسليمان ويوسف عليهم السلام وهي السلطنة الإلهية))[٧٧] بمعنى تضمنت الآية البشارة بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي عليه السلام وفي ذلك يراد هو جعل الصالح للخلاف خليفة مثل آدم وداود وسليمان عليهم السلام على إجماع العترة الطاهرة عليهم وإجماعهم حجة [٧٨].

الثاني: نفي إعجاز الناس في الأرض.

جاءت لفظة (الأرض) في سياق الجملة الإنشائية المقرونة بفعل مضارع منهي بلا الناهية الجازمة كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النور/٥٧، المتضمنة نفي إعجاز الناس في الأرض، وأغنى تركيب (في الأرض) النص القرآني معنى الظرفية.

١- جاءت معطوفة على السماوات لدلالتها العامة؟

جاءت في موضعين من سورة النور في الاشتراك في خصوصية السماوات لما يراد بها العموم والشمولية (شمولية النور) التي تطغى على الكلّ كما في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/٣٥.

٢- عمومية التسبيح.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور/٤١- ٤٢، ((لعل ذلك من باب اختيار أمور من أعاجيب الخلقة للذكر فإن ظهور الموجود العاقل الذي يدلّ عليه لفظ (من في السموات والأرض) من عجيب أمر الخلقة الذي يدهش لبّ ذي اللبّ، كما أنّ صفيف الطير الصافات في الجو من أعجب ما يرى من أعمال الحيوان ذي الشعور وأبدعه، ويظهر...أنّ المراد بقوله (من في السموات) الخ، جميع الأشياء، وإنما عبر

بلفظ أولي العقل لكون التسبيح المنسوب إليها من شؤون أولي العقل أو للتنبيه على قوة تلك الدلالة ووضوح تلك الإشارة تنزيلاً للسان الحال منزلة المقال))[٧٩] ((وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره إليه، حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكلّ ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه،... وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته. ودلائل مناديه على صفاته، لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر. فان قلت: متى رأى رسول الله ﷺ تسبيح من في السموات ودعاءهم، وتسبيح الطير ودعاءه))[٨٠].

٣- الملكية العامة.

كما ورد في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور/٤٢، ويرى المفسرون ((أنّ جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين، وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم))[٨١]، بمعنى ((أنّ جميع الموجودات في السموات والأرض من أفلاك وكواكب في السموات وما على الأرض من جبال وأنهار وبحار، فكلّ ذلك ملك لله تعالى، وفي تصرفه، وعنه نشأ، ومنه بدأ لا يشركه فيه أحد، وما يملكه العبد في هذه الدنيا، فإنما هو ملك في الظاهر، منحه الله له؛ ليتمتع به على سبيل الوكالة، والأمانة، فويل لمن قصر في الوكالة، وخان في الأمانة))[٨٢]، فإضافة الملك إلى السموات والأرض فيه دلالة ((قوله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/٤٢، يخصّ الملك ويقصره فيه تعالى فله أن يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد لا يسأ عما يفعل وهم يسألون، ولازم قصر الملك فيه كونه هو المصير لكل شيء، وإذ كان لا مليك إلا هو واليه مرجع كل شيء

ومصيره فله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد))[٨٣]، وفي قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/٦٤. يشير إلى ((بيان لعموم الملك وأن كل شيء مملوك لله سبحانه قائم به فهي معلومة له بجميع خصوصيات وجودها فيعلم ما تحتاج إليه، والناس من جملة ما يعلم بحقيقة حاله وما يحتاج إليه فالذي يشرعه لهم من الذين مما يحتاجون إليه في حياتهم كما أن ما يرزقنهم من المعيشة مما يحتاجون إليه في بقائهم))[٨٤].

الاقتران القريب بين السموات والأرض:

لقد عبر القرآن بصيغة الجمع (السموات) في بيان إسلام أهل السموات جميعاً، ((فالمتتبع لأساليب القرآن الكريم والتعبيرات فيه يجد انه حيث أريد الوصف المطلق للسموات بالعلو والارتفاع، أو قصد منه الجهة أفرد لفظ السماء بحسب ما يتصل بالكلام السابق، وإذا كان المقصود ذوات السموات بأعدادها الكثيرة أتى بصيغة الجمع إذ المقصود ذواتها لا مجرد العلو والفوق))[٨٥]، فورود الاقتران بين السموات والأرض بواو الجمع التي تفيد الإشراك[٨٦] دليل على التماسك والتجاذب والاتصال المباشر في الجزئيات والكليات كما في الآيات الكريمة:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/٣٥.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/٤١.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور/٤٢.

﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/٦٤.

فهنا الربط بين السموات والأرض يبيّنه دور العاطف، وهو المشاركة بين

المتعاطفين كون علاقة المشاركة تمثل تماسكاً دلالياً مثل علاقة الإسناد(٨٧).

تقديم السموات على الأرض:

إذا استقرينا كتاب الله وجدنا أنّ لفظة (السماء) أو (السموات) هي المتقدمة دائماً على الأرض عندما يأتي السياق القرآني بهما مجتمعتين، وقد شكلت هذه الحالة ظاهرة بارزة فيه، ولا شك إنّ دلالات التقديم لهذه المعاني مطلوبة تقع من السمع موقع الاستحسان.

فالآيات التي في السماء أعظم منها في الأرض لسعتها وعظمتها، وما فيها من كواكب، وشمس، وقمر، وبروج، وعلوها، ولاستغنائها عن عمد تقلها أو علاقة ترفعها كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد/٣.

إننا نؤمن أنّ الأسلوب القرآني لم يقدم مفردة أو يؤخرها إلا لمعنى مطلوب، فالمفردات القرآنية تستقر في سياقاتها في مكانها اللائق بها، بحيث لو غير مكانها أو استبدلت بأخرى لاختل عقد الجمال فيها، فتقديم السماء أو السموات على الأرض هو لشرفها وعلوها ولعظيم خلقها، فإذا ما تقدمت الأرض عليها، فلا بد أن يكون هناك معنى دلالي مقصود(٨٨).

دلالة التعظيم برجوع الكلّ إلى الله:

وهنا يكمن التصور الخطاب الإلهي في أبعاده النصية في مخاطبة الفكر الإنساني لبيان عظمة الخالق، فقد ((عظّم سبحانه نفسه بأن قال: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور/٦٤، من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصرفاً))(٨٩).

الخلاصة:

أشار البحث إلى جملة من النتائج باختصار:

١- هناك كثير من الأمور المهمة أيضاً التي يجب أن تطرح لكن لسعة هذا البحث باعتباره يشير إلى موضوعة غاية في السعة وهو السماوات والأرض فلا مجال لطرح جميع ما يعرف أو يكتب عنهما هنا في هذا البحث.

٢- إن ما ذكرناه هنا هو نبذة من المعلومات التفسيرية العلمية التي ذكرت عنهما باعتبار ما يستنبط منهما من نكات علمية بحتة، لا باعتباره بحث تفسيري بحت، فنأخذ فيه النكات البلاغية وآراء المفسرين في بيان الخطاب القرآني.

٣- بينت في هذا البحث الدلالات العلمية مشفوعة بالبحث اللغوي بمستوياته المختلفة باعتبار ما يحمله القرآن الكريم من آيات علمية ترتكز إلى معنى لساني نصي.

٤- لقد اقتصرت على هذين اللفظين أو هاتين المفردتين من القرآن الكريم وهما السماوات والأرض لأهميتهما ولما يحملانه من معان أساسية في الهداية الفطرية والهداية العقلية التي ينشدهما القرآن الكريم إلا هناك كثير من الآيات والسور التي تحمل الطابع العلمي، ولكن خشية الإطالة وضيق الوقت.

٥- استعنت بالبحث اللغوي لمعرفة الخطاب القرآني في سياقه وبيان التوصيف في البعد الصوري لهاتين المادتين لما لهما من امتياز في غاية الدقة والتنظيم والتعبير.

٦-توزعت الرؤية البحثية في أبعاد الإعجاز العلمي واللغوي بمظاهره الدلالية من بيان للمفردة القرآنية وكشف النكات البلاغية وأبعاد التصوير البياني والوظيفة السردية من باب التوصيف الأدبي.

الهوامش البحث

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (وصف): ٨٧٣
(٢) ينظر: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية: ٦٩_٧٠.
(٣) ينظر: لسان العرب (سمو): ١٤ / ٣٩٨.
(٤) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ١٤١
(٥) ينظر: تفسير القرآن الكريم وأعرابه وبيانه: ٦ / ٣٠
(٦) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، خ ١: ٤٠ -٤١
(٧) الأعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٨٩
(٨) مباحث إعجاز القرآن: ١٩٥
(٩) المصدر نفسه: ١٩٦
(١٠) مباحث في إعجاز القرآن: ١٩٥ - ١٩٦
(١١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦ / ١٥٣
(١٢) المصدر نفسه: ١٩٦- ١٩٨
(١٣) تفسير أبي السعود: ٦ / ١٥٤
(١٤) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ١٦٢
(١٥) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (زجا): ٣٧٨
(١٦) تفسير أبي السعود: ٦: ١٥٣
(١٧) مفردات ألفاظ القرآن (سحب): ٣٩٩
(١٨) كتاب العين (سحب): ٢ / ٧٩٣
(١٩) مفردات ألفاظ القرآن (ركم): ٣٦٥
(٢٠) كتاب العين (ركم): ٧٠٩
(٢١) مفردات ألفاظ القرآن (ودق): ٨٦١
(٢٢) كتاب العين (ودق): ٣ / ١٩٣٦
(٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٥١
(٢٤) مفردات ألفاظ القرآن (برد): ١١٧
(٢٥) كتاب العين (برد): ١ / ١٤٨
(٢٦) ينظر: من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ١٦٠ - ١٦٣
(٢٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٥-١٦ / ٩٩.
(٢٨) المصدر نفسه: ١٥-١٦ / ٩٩
(٢٩) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٧٥
(٣٠) الاتقان في علوم القرآن: ٤٥٩

(٣١) البيان والتبيين : ٢٠/١
(٣٢) بحار الأنوار، باب ١٩، ح ١٤: ٩٠ / ٣٣١
(٣٣) الصحيفة السجادية : ١٦٧.
(٣٤) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: ٣٥٨
(٣٥) ينظر: الكشاف: ٤ / ٤٢٥
(٣٦) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: ٦ / ٤٨٤،وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٨: ٤٢.
(٣٧) البحر المحيط في التفسير: ٨ / ٤٢- ٤٣
(٣٨) التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٣ / ٢٥٢.
(٣٩) مفاهيم القرآن: ٤٠.
(٤٠) ينظر: رحلة في الآفاق والأعماق - شرح دعاء كميل: ١٠١ - ١٠٢.
(٤١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٣٠، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١ / ٧٦
(٤٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١ / ٧٨
(٤٣) مفاتيح: ١٢٦
(٤٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١ / ٧٦ - ٧٧
(٤٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٨ / ٤٣، وتفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٦ / ١٣٩.، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٧ / ٧٧
(٤٦) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين (مختصر تفسير يحيى بن سلام): ٢ / ٦٠
(٤٧) رحلة في الآفاق والأعماق - شرح دعاء كميل، الأستاذ حسين: ١٠٢
(٤٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٣ / ١٨٤
(٤٩) تفسير أبي سعود: ٦ / ١٣٨
(٥٠) تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور): ١٨ / ١٨٧
(٥١) المصدر نفسه: ٣ / ١٨٤
(٥٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣ / ٢٦٥.
(٥٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٨ / ٢٠٦ -٢٠٧.
(٥٤) البحر المحيط في التغسير: ٨ / ٥٦.
(٥٥) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣ / ٢٦٥.
(٥٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٨ / ٥٦.
(٥٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٥-١٦ / ١٢٦.
(٥٨) المصدر نفسه، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ملك): ٧٧٥.
(٥٩) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: ٦ / ٤٠٦.
(٦٠) الميزان في تفسير القرآن: ١٥-١٦ / ١٢١.

(٦١) تفسير التحرير والتنوير: ١٨ / ٢٠٨.
(٦٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٥٧.
(٦٣) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، الإعجاز: ٣٧٣.
(٦٤) الكشاف: ٣ /١٨٨.
(٦٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٥ - ١٦ / ٩٩.
(٦٦) تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه: ١٥-١٦ / ٤٠٨.
(٦٧) ينظر: لسان العرب (أرض): ٧ / ١١١.
(٦٨) ينظر: المصدر نفسه: ١١٢/٧.
(٦٩) المصدر نفسه: ٧ / ١١٢.
(٧٠) الصحيفة السجادية: ١٦٧.
(٧١) ينظر: من بلاغة النظم القرآني - دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع: ٢٣١
(٧٢) القرآن والصورة البيانية : ٢٦٣
(٧٣) القرآن والصورة البيانية: ٥٥، وينظر: من بلاغة النظم القرآني: ٢٦٣- ٢٦٤
(٧٤) من بلاغة النظم القرآني: ٢٦٤- ٢٦٥.
(٧٥) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٢٩.
(٧٦) التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣ / ٢٦٨.
(٧٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٥- ١٦ / ١١١.
(٧٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٤٧.
(٧٩) الميزان في تفسير القرآن: ١٥ -١٦ - ٩٧.
(٨٠) الكشاف: ٣ / ١٨٨.
(٨١) الكشاف: ٣ / ١٩٩.
(٨٢) تفسير القرآن الكريم أعرابه وبيانه: ١٥-١٦ / ٤٠٦.
(٨٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٥- ١٦ / ٩٩.
(٨٤) المصدر نفسه: ١٥ -١٦ / ١٢١.
(٨٥) صفاء الكلمة: ١٢٣.
(٨٦) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية: ١ / ٢٨٠.
(٨٧) ينظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز: ١٣٥، والبلاغة العربية قراءة أخرى محمد عبد المطلب البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٣٦.
(٨٨) الحياة السعيدة في ظل سورة النور: ٢٨٠.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد احمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٢- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط١، دار العلم للملايين، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

٣- الأعجاز العلمي في القرآن الكريم، د حميد النجدي، كطبعة سيد الشهداء عليه السلام دار الأنصار، ط٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٥-٢٠٠٤م.

٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ نار مكارم الشرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٦- بحار الأنوار: بحار الأنوار: للشيخ المجلسي، طهران، دار الكتب الإسلامية (د. ت).

٧- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨- البلاغة العربية قراءة أخرى محمد عبد المطلب البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، ط١، مطبعة الجيزة، مصر، ١٩٩٧م.

٩- البيان والتبيين: أبو عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٠- تفسير ابن أبي زمنين (مختصر تفسير يحيى بن سلام)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المرّي (ت٣٩٩ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسين إسماعيل واحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

١١- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ) تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.

١٢- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د محمود البستاني، الأستانة الرضوية المقدسة، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٣- تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، (د. ت).

١٤- تفسير القرآن الكريم وأعرابه وبيانه، الشيخ محمد علي طه الدرة، دار ابن كثير ط١، دمشق - بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥- الحياة السعيدة في ظل سورة النور: قاسم سيد البغدادي، ط٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٦- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: محمد عبدة، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
١٧- رحلة في الآفاق والأعماق - شرح دعاء كميل: الأستاذ حسين أنصاريان، ترجمة: كمال السيد، المطبعة: ثامن الأئمة عليه السلام - قم، ط٢، ١٤٢٦- ٢٠٠٥ م.
١٨- الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، تقديم وضبط: محمد القاضي، مطبعة الديواني - بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.
١٩- صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، مطبعة دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٠- العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، نهاد الموسى المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٠م.
٢١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٢- القرآن والصورة البيانية، د عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٢٣- قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، الإعجاز: الهادي الجطلاوي، ط١، نشر جامعة سوسة، تونس، ١٩٩٨م.
٢٤- كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، تصحيح: الأستاذ أسعد الطيب، مطبعة باقري، قم، ط١، ١٤١٤ هـ.
٢٥- الكلمة في التعبير القرآني، د فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠ م.
٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ)، ضبط وتوثيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٦م .
٢٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، ط١، بيروت (د.ت).
٢٨- مباحث إعجاز القرآن، أ. د. مصطفى مسلم، دار القلم، مشق ط٣، ١٤٢٦-٢٠٠٥ م
٢٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
٣٠- مفاتيح الجنان، عباس القمي، منشورا الفيحاء، ط ١، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٣١- مفاهيم القرآن، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة ماجد الخاقاني، المشرف: الشيخ محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، لبنان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٢- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، صفوان عدنان داوودي، مطبعة سليمانزاده، ط ٢، قم، ١٤٢٧هـ.
٣٣- من بلاغة النظم القرآني - دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٤- القرآن والصورة البيانية، د عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٣٥- من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، مصر ٢٠٠٦ م.
٣٦- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، تقديم آية الله جوادي آملي، دار الأضواء، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٣٧- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، اختيار: الشريف أبو الحسن محمد بن الحسن الرضي، ضبط نصه: د صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٣٨- نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: السيد نعمة الله الجزائري، مطبعة اميران، ط١، قم، ١٤٢٧هـ.